في اليوم العالمي للإذاعة.. هل مازالت الدراما الإذاعية على السمع؟

للمسلسلات الإذاعية دور كبير لم يقل شأناً عن حكايات الجدة والأم التي تربينا عليها

حكمت محسن

تيسير السعدي

محمد عفا

هائل اليوسفي

نجاة قصاب حسن

| وائل العدس

في الثالث عشر من شباط من كل عام، يُحتفل باليوم العالمي للإذاعة الذي أعلنته «يونسكو» في عام ٢٠١١، بعد أن اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة رسمياً بموجب قرارها ١٢٤ / ٦٧ المؤرخ ١٤ كانون الثاني عام ٢٠١٣.

ويعود اختيار هذا التاريخ للاحتفال بالإذاعة على المستوى العالمي، إلى اليوم الذي أنشئت فيه إذاعة الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٦.

وبحسب «اليونسكو»، يهدف هذا اليوم إلى تسليط الضوء على مكانة هذه الوسيلة الأساسية للإعلام والاتصال في المشهد الإعلامي المحلي والعالمي والتعاون الدولي بين مختلف الإذاعات في العالم.

جمهور خاص

للإذاعة جمهور خاص، وهناك فئات من عشاقها، منهم قطاع كبير من كبار السن الذين قضوا أحلى أيام شبابهم في الجلوس أمام المذياع وفتة كبيرة رباط البيوت.

المذياع كان الصديق المقرب للإنسان في كل مكان كالسيارة أو عند النوم مثلاً، وربما يعود في المستقبل بشكل أكبر، لأن الناس تعبوا من كثرة الصور التلفزيونية وهم بحاجة لقليل من الراحة، وبما أن «الأذن تعشق قبل العين أحياناً» كما قال الشاعر بشار بن برد، فإن التالي استثارة الخيال في الإذاعة تكون أكبر.

ورغم تضاؤل دور الإذاعة فإن الناس يركبون سياراتهم ويستمعون للأغاني والأخبار والبرامج والمسلسلات، وكثرتها أدت إلى خصخصة الإذاعة كوسيلة إعلامية، وخاصة مع استخدام الرسائل القصيرة والتواصل عبر مواقع التواصل الإجتماعي.

وأمام الهجمة الكبيرة من وسائل الإعلام الحديثة انصرف عنها نسبة كبيرة من الجمهور، وأصبحت علاقتهم مرتبطة بها ببعض الأوقات للاستماع للبرامج الخفيفة والأغاني.

ومع الحضور الكثيف للتلفزيون واليوتيوب وتحول الجمهور إلى انتقائي في ما يريد أن يتلقاه من الإعلام، تضاءل استماع الناس للإذاعة، وأصبح الاختيار محصوراً بنوع البرنامج الإذاعي مثل الموسيقا الكلاسيكية والجاز والأخبار.

معادلة صعبة

أن تمتلك القدرة على تمثيل كل مشاعرك وأحاسيسك بصوتك فقط، ذلك يعني أنك محترف في التمثيل الدرامي الإذاعي، ولكن أن تكتب الدراما الإذاعية لتفتح مجال الخيال لدى المستمع، هذا هو الاحتراف بذاته.

تؤدي المسلسلات الإذاعية رسالة لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، بفضل سهولة التلقي والمتابعة في أثناء التنقلات من خلال مدة لا تتجاوز ١٥ دقيقة.

في الماضي وقبل انتشار الدراما التلفزيونية كانت الدراما الإذاعية تحتل مكانةً في حياة الناس، لكن في هذا الزمن تغير كل شيء.

الدراما الإذاعية اليوم تواجه معادلة صعبة عبر تحول الإذاعات إلى «إف إم» ذات الإيقاع السريع ومنافسة التلفزيون، ما أدى إلى ندرة ذلك الفن العريق واقتصاره على بعض المناسبات والأعياد.

هذه الدراما مرهونة بطلب المحطات الإذاعية، وللأسف تم تحجيمها، وليس للمستمع علاقة بهذا التحجيم، بل على العكس فإنه يرحب بها دائماً، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من الناس مازالوا مواظبين على الاستماع إلى برنامج «حكم العدالة» كل ثلاثاء عبر إذاعة دمشق.

ربما يجد البعض هذه الدراما الأجمل إن أحسن إعدادها، لأنها تعطي فرصة لخيال المستمع وقدراً من المتعة، ومعها يقضي المستمع وقته -على الطريق- بلا ملل، وبأجوائها الممتعة ومفرداتها وأصوات مؤديها، تمر المواقف في خياله وكأنها شريط مصور.

وأهم ما يميز الدراما الإذاعية عما سواها هو أن كل متلق يكون مشاركاً في إخراج العمل بتخيله له، وكل يأخذ منه على قدر قريحته وخياله.

عجلة الحياة

كانت الدراما مرتبطة بإذاعات AM ذات المجال الواسع للحديث والحوار مازالت موجودة ولكن على نطاق بسيط ويتم بثها على الطريقة القديمة.

ولأن المستمع ليس لديه وقت للاستماع في عجلة الحياة، أصبح التوجه نحو الإذاعات ذات الإيقاع السريع والأغاني والبرامج والمسابقات الملائمة لذوق الشباب، إضافة إلى أن المسلسل الإذاعي كان مكلفاً على المحطات الخاصة.

ولا بد من الاعتراف بأن التلفزيون والإذاعة باتا يعانيان معاً مشكلة العزوف عنهما، لأن شبكة الإنترنت بدأت تنافسهما بشدة، فمن خلال هاتفك الجوال مثلاً صرت تسمع أي أغنية أو تشاهد أي مسلسل، إذ تعددت خيارات المتابعة والمشاهدة، غير أننا نستطيع استعادة نشاط الإذاعة وألقها وحضورها، وذلك بإعادة الاعتبار إلى القضايا الحياتية الملحة، فشعبنا بطبيعته ميال إلى كل ما هو محلي، يفضل الرواية التي تحاكي واقعه ويتابع المسلسل التلفزيوني الذي يتبنى قضاياه، مع الإشارة إلى أننا شهدنا في السنوات الأخيرة تراجعاً نسبياً في الدراما السورية التي ذهبت باتجاه قضايا سطحية بعد أن اكتسحت لعقود معظم الشاشات العربية، وربما هذا ينسحب على الدراما الإذاعية التي تحتاج إلى تعميق طروحاتها، والوقوف عند معاناة المواطن السوري.

وفي حال اعتبرنا أن مواقع التواصل الاجتماعي لا تنافس الإذاعة، لأنها لا تستقطب الأشخاص الذين يتنقلون في سياراتهم، فإنه لو تم وضع المسلسلات الإذاعية على مواقع التواصل الاجتماعي فإنها ستحقق المتابعة أكثر من المعتاد.

كورال إذاعة دمشق في مطلع الخمسينيات

إذاعة «دمشق» مازالت متمسكة بتقليد الدراما الإذاعية منذ أوائل الخمسينيات بعد تأسيسها

دور كبير

كان للمسلسلات الإذاعية دور كبير لم يقل شأناً عن حكايات الجدة والأم التي تربينا عليها، والجيل القديم لديه ذاكرة قوية تجاهها، وإلى اليوم الفرصة متاحة لظهورها ثانية، لكن الإذاعات باتت تفضل بث برامج وأغان تحصل من ورائها على مردود أفضل بدلاً من المسلسلات، وخاصة بوجود رعاة البرامج.

إذاعة دمشق

بينما يحتفل العالم باليوم العالمي للإذاعة، فإن إذاعة دمشق تقف في مقدمته بعطاء وخبرات سبعة وسبعين عاماً من العطاء المتدفق المستمر في مجال الصوت والأثير الذي لا يزال يحتفظ بألقه رغم تجدد التكنولوجيا وتعاقب السنين.

ورغم أن إذاعات موجة «إف إم» لم تتمكن من تقديم دراما إذاعية تحقق الصدى الطيب، فإن إذاعة دمشق العريقة تصر على التمسك بتقليد الدراما الإذاعية، وخاصة أنه سبق لبعض مسلسلاتها أن حققت نسب حضور أكثر من التلفزيون.

وقد نشأت الدراما في إذاعة دمشق أوائل الخمسينيات بعد تأسيسها مباشرة، على يد رئيس دائرة التمثيليات ممتاز الركابي، الذي كتب وأخرج ومثل في عدد من الأعمال التاريخية والعالمية، واستعان للتمثيل فيها بادئ الأمر ببعض المذيعين والمذيعات مثل فؤاد شحادة وعادل خياطة وفياء الشماع وبدر المهندس والطلبة المشاركين في برنامج الطلبة الأسبوعي وبرنامج الأطفال مثل خذون المالح ونجوى صدقي ويارا المالح وعدنان حبال، إلى جانب الأعمال الدرامية الإذاعية التي كان يكتبها ويخرجها وصفي المالح وأكرم خلقي ويستقدمان لها ممثلين وممثلات هواة من النادي الشرقي للتمثيل والموسيقا والنادي الفني مثل عدنان عجلوني وسامي جانو ونهاد قلعي وأولغا غنوم وعبد الرحمن آل رشي وهدى شعراوي وفاطمة الزين ويعقوب أبو غزالة.

وقد كسبت الإذاعة آنذاك مخرجاً موهوباً درس وتدرب في القدس والقاهرة هو تيسير السعدي الذي كان مع حكمت محسن وأنور البابا وفهد كعيكاتي وعبد السلام أبو الشامات ورفيق سبيعي أعضاء في الفرقة السورية التي سميت فيما بعد فرقة المسرح الحر، وضمت سعد الدين بقدونس وعبد اللطيف فتحي ونزار فؤاد وهاشم وعمر قنوع ونور كيالي ومحمد طرقجي ومحمد العقاد.

أما في الإذاعة فقد استدعى ممتاز الركابي هؤلاء الفنانين المسرحيين من دمشق وحلب للعمل في الإذاعة، فاستجابوا بحماسة وراح حكمت محسن يكتب بواكير أعماله الإذاعية الرائعة.

وهي بالمناسبة لم تكن كلها كوميدية بل تراجيدية أيضاً وشكلت قاعدة انطلاق راسخة ومدرسة أساسية للدراما الإذاعية السورية باللهجة العامية، رافقها استمرار تقديم التمثيليات الإذاعية المعدّة عن المسرح والرواية وكتب التاريخ العربية وغير العربية باللغة الفصحى، ومازالت هذه الأعمال كلها موجودة في الأرشيف.

وقد عمدت إذاعة دمشق منذ عقود طويلة إلى إنتاج وبث برامج درامية ثقافية أو اجتماعية وأخرى كوميدية أسبوعية أو يومية بنوعية جيدة.

اليوم العالمي للإذاعة.. ودعوة للحفاظ على الذائقة السمعية والثقافية

هموم الناس وملامستها جعلت إذاعة دمشق أكثر قرباً إليهم

| سماء صبري

بدأت الحكاية منذ زمن بعيد قد تكون قرناً وينوف، عندما استرق أسماعنا ذلك الصوت المنساب من الجهاز الخشبي الحنون، الذي سحرنا بكلماته وأغنياته وبرامجه وكأنه يناجينا، أصبح الراديو صديقاً لنا فهو يخاطبنا، يفرح مع فرحنا بأغانيه المبهجة، ويطلق آهات الأشواق والفراق مع أشواق قلوبنا.

النشأة للإذاعة في العالم

هو ملك لوسائل الإعلام، فهو أول وسيلة إعلامية غير مرئية، داعبت أسماعنا بتقديمها لمعلومات وأخبار فنية وثقافية، سياسية وطبية، لطالما سحرتنا أصوات مذيعيه، فالأذن تعشق قبل العين أحياناً، ولطالما رافقتنا برامجه وحكاياته حتى خلنا أنه يتحدث معنا ويفهمنا، فكم يحفز الراديو خيالنا ويغنيه ويسافر بنا مع عوالمه الثرية والغنية، ولو استطعنا السفر عبر الزمن لعرفنا أن فكرة الراديو قد كانت حلماً قديماً، فقد بدأ الحلم في نهاية القرن التاسع عشر مع مجموعة من العلماء الرواد المتخصصين في الإرسال اللاسلكي مثل (أمبير وبل وواط وهيرتز وأوم وفولتا) إلا أن الذي أثبت إمكانية البث من الناحية العلمية كان العالم (ماركوني) الذي أطلق أول بث إذاعي يتكون من شفرة تلغراف لاسلكي جرى بثه من محطة مؤقتة، كان ماركوني قد أنشأها في عام ألف وتسعمئة وخمسة وتسعين، وقد رافقت جهود ماركوني جهود ميدانية وعملية من العلماء الذين ذكرناهم.

قبداً بث الموسيقا والحديث الإذاعي عبر الترددات اللاسلكية بشكل تجريبي بين عامي ألف وتسعمئة وخمسة وألف وتسعمئة وستة، ثم تحولت تجارياً منذ عام ألف وتسعمئة وعشرين، وكان أول بث نظامي في كندا بدأ ينتشر في كل من أستراليا وإنكلترا، حيث افتتحت شركة البث البريطانية (bbc)، وانتشرت الإذاعات في باقي الدول الأوروبية واليابان والهند وبقية الدول تباعاً، وكذلك كان بث الراديو في مصر منذ عشرينيات القرن الماضي إذ كانت عبارة عن إذاعات أهلية، أما البث الحكومي فقد بدأ في منتصف الثلاثينيات بالاتفاق مع شركات أجنبية ثم عربت الإذاعة في عام ألف وتسعمئة وسبعة وأربعين.

أما عن إذاعتنا العريقة (إذاعة دمشق) فتعود ولادتها إلى عام ألف وتسعمئة وستة وثلاثين عبر معرض للصناعات الوطنية في مدرسة التجهيز الأولى، حيث أنشئت إذاعة محلية بريادة الأستاذ (نشأت التغلبي).

إذاعة دمشق وبداياتها

إلا أن البداية الرسمية فكانت في الثالث من شباط عام ألف وتسعمئة وسبعة وأربعين، إذ صدح صوت الأمير يحيى الشهابي بتلك الكلمة الساحرة (هنا دمشق).

فكانت إذاعة دمشق، التي تلت إذاعة صوت العرب من القاهرة وكانت ثانية إذاعة في الوطن العربي واستطاعت أن تتبوأ الريادة في الأدب والعلم والثقافة والمنوعات والموسيقا والدراما وكان مديرها المؤسس الشاعر سليم الزركلي، وبرز في إذاعة دمشق الجيل المؤسس من المذيعات والمذيعين والإعلاميات والإعلاميين، نذكر منهم عبلة الخوري عادل خياطة سامي الشمعة يحيى الشهابي خلدون المالح وهناء المحمودي، كذلك برز عدد كبير من المخرجين الإذاعيين نذكر منهم داود يعقوب وخلدون المالح وهشام شربتجي.

استطاعت إذاعة دمشق أن تكون في صدارة الإذاعات من خلال قربها من المستمعين وملامستها لهمومهم ومواكبتها لأذواقهم ومن خلال استقطابها واكتشافها لكبار الفنانين والموسيقيين العرب والسوريين، فكبرت الإذاعة مع أصوات الكبار كصوت السيدة فيروز ووديع الصافي وملحم بركات ووليد توفيق والكثير من الكبار الذين سجلوا بأصواتهم قصص حب لا يمكن أن تنتهي مع مستمعين متذوقين اعتادت أسماعهم الجميل فقط.

مواجهة التحديات

استطاعت الإذاعة عبر أجيال عدة، وعبر تحديات سياسية واجتماعية وثقافية وقيام حروب بين أمم مختلفة أن تكون في صدارة وسائل الإعلام، فكانت ناقلاً مؤثراً وكان جمهورها يزداد نظراً لسهولة التعامل مع المذياع ونظراً لمواكبتها التطور الاجتماعي والعلمي ورغم بروز الفضائيات في تسعينيات القرن المنصرم، وذلك لتطور برامجها وخطابها الإعلامي وتطور طواقمها والقائمين عليها حتى أقيمت المسابقات المحلية والعربية والعالمية لرصد أجمل وأغنى البرامج الإذاعية، حتى أقيم اليوم العالمي للإذاعة باقرار من الدول الأعضاء في اليونسكو في الثالث عشر من شباط عام ألفين وأحد عشر، ووافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في الرابع عشر من كانون الثاني من عام ألفين وثلاثة عشر.

فكان اليوم العالمي للإذاعة بمشاركة هيئات بث عامة وخاصة وأكاديميات ووكالات إنمائية بقيادة الأكاديمية الإسبانية للإذاعة ويدعم من جهات إعلامية رفيعة كاتحاد إذاعات الدول العربية، واتحاد إذاعات آسيا والمحيط الهادي والاتحاد الإفريقي للبث الإذاعي والاتحاد الإذاعي الأوروبي، والرابطة الدولية للبث الإذاعي ومنظمة الاتصالات الأميركية وهيئة الإذاعة البريطانية والاتحاد الدولي للإذاعة والتلفزيون وغيرها من الهيئات الإعلامية الدولية، وذلك تقديراً للتأثير الاجتماعي والجماهيري للراديو وبقية المحافظة على أذننا من التلوث السمعي والحفاظ على الذائقة السمعية العلمية والثقافية والجمالية.

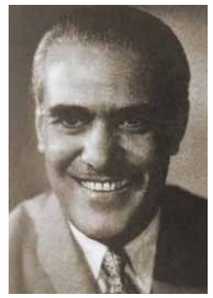
سليم الزركلي

نشأت التغلبي

يحيى الشهابي

عادل خياطة

برجك اليوم 02/12

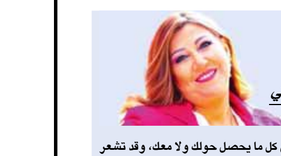
نجلاء قباني

الحمل

يوم قد يجعلك عصبياً أو قلقاً وقد تشعر بالحاجة للعزلة وقد يضيق صدرك من الناس فحاول أن تترك أسرارك في خزانتك الخاصة من دون أن تبوح بها للآخرين. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فكن متأكداً مما يحصل وخاصة أنك قد تفاجأ عندما تعلم بكذب أو احتيال قام به أحد المقربين منك ما يجعلك تصاب بخيبة أمل وهذا ما تكرهه (أي الكذب).

الثور

الأوضاع مملوءة بالوعود وأنت مزدهر عاطفياً أو مع أقرباء وأهل أو مع شريك عاطفي وربما سيتسنم لك الحب أو تصادف أشخاصاً يحملون لك السعادة والفرح.
عاطفياً: تفكيرك السريع والفعال يجعلك تضع النقاط على الحروف في أمورك العاطفية.

الجوزاء

حولك حالة من الشكوى أو عدم الرضا عنك من المسؤولين عن أعمالك أو من أهلك ولكن معظم التحديات يمكن تلافيها بالهدوء والاتزان بكلامك وبتصرفاتك المحسوبة والموزونة.
عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فابتعد عن العصبية ولا تكابر على ألمك بالعكس وضح الأمور وخاصة إذا شعرت أنك قد تختلق مع الآخرين بسبب سوء تفاهم أو أزمة قلة ثقة.

السرطان

أنت تكشف عن مشاعرك بدقة وتفرح لتعامل من حولك بطريقة جيدة وتتعرف على أشخاص جدد وتباشر دورة جديدة فيها الكثير من الحوافز المشجعة وخاصة أنك تسد أغلب الثغرات.
عاطفياً: أنا أظن أنك ستدخل الكثير من النقاشات بسبب مشروع جديد على صعيد أمورك الشخصية.

الأسد

أنت تمتلك الجرأة والحماس وهو وقت مناسب لتقترب ممن تحب ولتشعر بالاطمئنان بسبب فرضك لإرادتك وشروطك وقبول الآخرين لآرائك ومساعدتهم لك في مشاريعك الجديدة.
عاطفياً: أنت قريب من أسرتك ووثيق من قراراتك وهذا الشهر قد تقدم على خطوة مهمة في حياتك بمساعدة عائلتك.

العذراء

ابتعد عن العصبية فأنت مشوش الذهن وعصبي أكثر من اللازم ونزقك وهذا قد يجعلك تتكلم ما لا تعنيه أو تتصرف بطريقة ناقمة أو معادية لمن حولك.
عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة وقد تشتاق للشريك وتشعر بصعوبة في الاتصال به سواء في سفر أو بسبب عنادك.

الميزان

حاول أن تقي بمسؤوليتك ولا تسمح لأي من المحيطين بأن يحد من طموحاتك أو يغمرك بتيارات سلبية، فالهدوء بالمذياع متابعة الأخبار والمرقع ولكنك تحب العمل ولا تتضايق حتى لو كان أكثر من اللازم.
عاطفياً: أنت تلتفت إلى عائلتك وتلم شملها وتبذل جهوداً إضافية لتصل إلى سعادة تتمناها.

العقرب

أنت مرتاح وقد تجد علاجاً أو شفاء أو تلقى أخباراً طيبة، كلمتك مسموعة ومؤثرة فاليوم يعدك بلقاءات ونقاشات مهمة مفيدة ستتذكرها لوقت طويل ولكن احذر الإسراف.
عاطفياً: أنت تتعرف على الكثير من الوجوه الجديدة التي تقيدك وقد تضع النقاط على الحروف في علاقاتك.

القوس

أنت غير راض عن كل ما يحصل حولك ولا معك، وقد تشعر بأن محيطك العملي يساهم بالتوازي مع محيطك العائلي في إزعاجك أو في مضايقتك أو في تحميلك مسؤوليات لما حدث أو لما يحدث. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فحاول التعبير عن مشاعرك من دون مبالغة سواء أكان في الحب أم في المشاكل وتكيف مع بعض الظروف التي لا ترضيك.

الجدي

أنت ستكسب أي قضية تريدها ومرحك اليوم يجذب الآخرين لك وخاصة الشريك وخاصة أنك سريع التأقلم وتتغير بسرعة وفق الظروف وذهنك يعمل بطريقة صحيحة.
عاطفياً: ولادة، أو خطبة أو فرح في أمورك الشخصية أو العاطفية أو نفرح لإنجاز عائلي.

الدلو

الأمور المالية هي حصاد عمل سابق وجهد سابق وليس بالضرورة عملياً، ولكنه بالتأكيد ثمرة لجهودك فحاول أن تطلبه أو تحافظ عليه، فأنت في الأيام الأفضل للمال ولتطالب بحقوقك وتناقش في كل أمورك العملية والمالية.
عاطفياً: أنت في أفضل حالاتك وتحاول إصلاح كل الأخطاء سواء في تواصل أسري أم في أفراح عائلية.

الحوت

اتكل على حدسك لأنه سليم وربما تفكر بتغير طريقة حياتك أو شكلك، فاليوم للطاقة وقد تفكر بمشاريع تنجزها فأنت مرتاح ومتفائل وربما تعاني من تغيرات أو قلة نوم.
عاطفياً: أنت تفكر في أمورك العاطفية والعائلية وتذكر أننا نحتاج لكلام الحب أو الاهتمام للشريك.